

أنواع الذئاب وصفاتها

أنواع الذئاب

ذئب الجزيرة العربية *Canis Lupus Arab*

هو أصغر أنواع الذئاب. أطرافه طويلة، وذيله يتدلى إلى العقب يغطيه شعر خشن، طرفه أسود، وقمته سوداء وبيضاء. رأسه غليظ، وخطمه، أي: أنفه، ممدود، أي: طويل بارز، مدبب ينتهي بتهاية سوداء. جبهته عريضة. أذنه منتصبة صغيرة نسبياً. لون شعره يتفاوت بين الأصفر البني، إلى الرمادي البني، ممزوجاً ببعض السواد، مع وجود اللون الأسود على الظهر. يظهر اللون الأبيض على الحدود وتحتها وتحت البطن. أما شعر جسده، فقصير خشن. معدل الوزن: ٢٠-٣٠ كغ. معدل طوله ١١٤٠ ملم، طول ذيله ٣٢٠ ملم.

ذئب فلسطين

ينتمي الذئب في فلسطين إلى الذئب الآسيوي الذي يقطن المنطقة الممتدة من سفوح جبال الهمالايا بالهند حتى فلسطين. وذئاب فلسطين ذئاب مناطق فسيحة، وهي لم تعش أبداً في الأشجار الكثيفة.

كما أن ذئاب فلسطين ذات تفاوتات في الحجم واللون. وهي تعد أكبر من ذئاب أوروبا وأقوى، ويزداد حجم الذئب في المناطق التي يكثر فيها سقوط الأمطار، بينما

يقل تبعاً لندرتهما، إلا أن ذئب الصحراء غير متساوية من حيث الحجم، وفي المناطق الجنوبية التي يقل سقوط المطر فيها تكون أصغر حجماً، إذ هي ذات جماجم صغيرة، وأجسامها صغيرة أيضاً.

ولا أحد يعرف مدى العلاقة بين الذئب كانييس لوبوس باليبس العربي، C.L. Pallipes، والذئب Canis Lupus Linnaeus حيث يتعايش النوعان جنوب وادي عربة، والمظنون به أن الذئب العربي كان يعيش وحده في هذه المنطقة نتيجة لاستعداده الطبيعي للظروف الصحراوية. وربما ساعدت الظروف المكانية وتوافر الغذاء على دخول الذئب كانييس لوبوس باليبس، ومناقسته للذئب العربي.

يظهر شَعْر الذئب كانييس لوبوس باليبس C. L. P، والذئب العربي C. L. Arabs، قصيراً ودقيقاً في الصيف، إلا أن شعر الظهر أطول نوعاً ما في هذين النوعين حتى في الصيف، وذلك يعود إلى الحرارة الملتهبة في الصيف حين تضطر الذئبات إلى العمل ليلاً.

أما في الشتاء، فالشعر يكون طويلاً، ولكنه لا يصل إلى طول شعر الذئبات في أوروبا، إذ يبلغ طول الشعر في الصيف في هذين النوعين: ٣٠ ملم في الظهر و١٠ ملم في الجانبين.

يميل لون الوجه إلى الذكئة الصفراء المتقطعة، والسيقان، والجباه، والأذنان، فتميل إلى الصفرة البرتقالية الخفيفة. ويكون أسفل ظاهر السيقان وباطنها أبيضين، وجوانب الأنف صفراء رمادية^(١).

(١) David L. Harrison & Paul J. J. Bates, the Mammals of Arabia (Lakeside Printing, Harrison

الأنواع الأخرى

يتبين لنا من عدم الاتفاق في اللون: (أطلس - أطحل - أشهب...)، أن هناك أنواعاً أخرى غير تلك التي تذكرها الدراسات المعاصرة، وتتفق مع النوع العام. فربما وجدت في الجزيرة العربية ذات يوم أنواع مختلفة من الذئاب، انقرضت الآن، فمن ذلك:

السلعام وهو الذئب الدقيق الخطم الطويله^(١).

ذئاب الغضا، أو سرحان القصيم، أو سيد الرمل.

وذئب الغضا أحيث الذئاب، فهو أحيث من ذئب البراح، ولذا يقال: أخطر

الذئب، إذا استتر بالخرم^(٢).

الذئب القفر، وهو الذئب المنسوب إلى القفر^(٣).

السسم، الذئب الصغير الجسم^(٤).

ذئب الرُدْهَة، الردهة: النقرة في الجبل، أو في صخرة يستتبع فيها الماء^(٥).

(١) السيد محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس (القاهرة: المطبعة الخيرية، ط ١، ١٣٠٦هـ)، "سلعام".

(٢) حمزة بن الحسن الأصبهاني، الدرّة الفاخرة، تحقيق: عبدالمجيد قطامش (القاهرة: دار المعارف،

١٩٧١م) ج ١، ص ١٩٠-١٩١، كعب بن زهير، ديوان كعب بن زهير (القاهرة: الدار القومية،

١٣٦٩هـ/١٩٥٠م)، ص ١٣٠. أبو الفضل، أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد

محيي الدين عبدالمجيد (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م) ج ١، ص ٣٣٣. ابن

منظور، اللسان، "سيد".

(٣) الزبيدي، التاج، "قفر".

(٤) ابن منظور، اللسان، "سسم".

(٥) المصدر نفسه، "رده".

أسمائه وصفاته

وقد أطلقوا على الذئب أسماء وصفات متعددة، لعل بعضها لم يكن معروفاً الآن، فمن أسمائه :

ابن الأرض^(١)، امرؤ^(٢)، الجنب^(٣)، السُّعُوع^(٤)، السَّمَام^(٥)، السُّلُوق^(٦)، السُّلَمَع^(٧)، الضَّائِبِ^(٨)، الطُّلُو^(٩)، العَلَش^(١٠) .
ومن صفاته : العَيْل^(١١)، القَطْرُب^(١٢)، الهِطَل^(١٣)، الهَلَطُوس^(١٤) .

-
- (١) جلال الدين، عبدالرحمن السيوطي، المنى في الكنى، تحقيق: ZDMG، C. F. Seybold، ع ٤٩٤ (١٨٩٥م) ص ١٢٤ .
- (٢) ابن منظور، اللسان، "مرأ".
- (٣) المصدر نفسه، "جنب".
- (٤) المصدر السابق، "سمع". الزبيدي، التاج، "سمع".
- (٥) رؤية بن العجاج، ديوان رؤية، ضمن مجموع أشعار العرب، تحقيق وليم بن الورد (لايزغ؛ دروفولين، ١٩٠٣م) ص ١٥٠ .
- (٦) ابن منظور، اللسان، "الوق".
- (٧) المصدر نفسه، "سلمع".
- (٨) المصدر نفسه، "ضبا".
- (٩) الطرماح بن حكيم، ديوان الطرماح بن حكيم، تحقيق: عزة حسن (بيروت: دار الشروق، ط ٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ص ٢٤١ .
- (١٠) ابن منظور، اللسان، "علش".
- (١١) الزبيدي، التاج، "عيل".
- (١٢) امرؤ القيس بن حجر، ديوان امرؤ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٨م) ص ٣١٦ .
- (١٣) ابن منظور، اللسان، "هطل".
- (١٤) المصدر نفسه، "هلطس".

ومن أسماء الذئب أو صفاتها: السمعمعة^(١).

وعما يؤكد لنا هذا أن: العتزة ضرب من السباع بالبادية، دقيق الخطم، كالسلوقية، أو هو على قدر ابن عرس، وهو من جنس الذئاب^(٢). وإن قال ياقوت: "إنه شيطان، فلا يرى البعير فيه إلا مأكولاً"^(٣).

وقد تكون العتزة هذه نوعاً من السباع، وليس من الذئاب، وإنما جعلها العرب من الذئاب لاشتباهاها عليهم بالذئاب، ذلك أنهم عدواً سوى هذه من غير الذئاب، وذلك مثل:

ابن أوى: يثبت العلم أنه ليس بالإمكان التمييز بين أنواع الذئاب المعروفة بكائيس لوبس Canis Lupus، ومن بينها الذئب العربي، إضافة إلى ذئب فلسطين؛ وكذلك، ابن أوى (الشاكال The Jackal)، وهو أيضاً أكثر من نوع.

ولا يدل حجم الجمجمة على أي منها، إذ لا بد من اللجوء إلى الحجم، واللون، وطبيعة الشعر، وخصائص الذيل؛ وهذه أمور يصعب إدراكها، دونما خبرة عميقة.

(١) المصدر نفسه، "سمع".

(٢) المصدر نفسه، "عتز".

(٣) شهاب الدين، أبو عبدالله، ياقوت الحموي، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) "عتزة".

وانظر، شهاب الدين، أبو العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، مسالك الأيصار في مسالك الأيصار وممالك الأمصار في الحيوانات والنباتات والمعادن، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط ٢، ١٩٩٦م)، ص ٧٧، الذي قال: "عتزة: حيوان دقيق (الخصر) يكون ببادية (المغرب)؛ قالوا: يأخذ البعير من قِبَل دبره، ويقتله، وقلما ترى، ويزعم أهل (المغرب) أنه شيطان، فإنه يحتفي، ولا يرى إلا البعير المأكول".

وهنا تصحيفان هما: "الخطم"، "العرب".

وإذن، فهل ينطبق شيء من أسماء الذئب وصفاته على ابن آوى أيضاً؟ إن ذلك محتمل جداً.

المركبات

الأسبور^(١).

العسبار : وهو ولد الضبع من الذئب^(٢).

السمع : وهو ولد الذئب من الضبع، وعرفوه بأنه لا يعرف الأسقام والعلل، ولا يموت حتف أنفه، بل يموت بعرض من الأعراض يعرض له. وليس في الحيوان شيء عدوه كعدوه؛ لأنه في عدوه أسرع من الطير، ولقد قيل: إن وثبات السمع تزيد على عشرين أو ثلاثين ذراعاً^(٣)، واستشهدوا بقول الشاعر في فرسه:

تراه حديد الطرف أبلج واضحاً
أغرط طويل الباع أسمع من سمع^(٤)

وفي قول تابط شراً في الشنفرى:

وإذا يغدو فسمع أزل

قالوا: "قال أزل، وجعله عادياً، ووصفه لذلك؛ لأنه ابن الذئب"^(٥).

بل لقد قرّبوا بينه وبين الذئب في اللون والهيئة، فقالوا:

بها السمع الأزل الأطلس^(٦)

(١) الميداني، مجمع الأمثال، ج ١، ص ٣٥٢.

(٢) ابن منظور، اللسان، "عسبر".

(٣) الزبيدي، التاج، "سمع".

(٤) المصدر نفسه.

(٥) أبو عمرو، عثمان بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (بغداد: وزارة

الإعلام، ١٩٨٣م) ج ١، ص ١٨٣.

(٦) المصدر السابق، ج ١، ص ١٨٣.

فالزئيل : مشبة خاصة بالذئب، والطلسة : لون الذئب المائل إلى الكحلي.
ولا يتفق هذا الاعتقاد أبداً مع التقارير العلمية التي تنفي أي ارتباط عضوي
للذئب بالضبع لتباعد الفصيلة الذئبية عن الفصيلة الضبية The Hyaeidae .

وقد حقق هذا الجاحظ في قوله :

"وأما الذين ذكروا في أشعارهم السمع والعسبار، فليس في ظاهر كلامهم دليل
على ما ادعى عليهم الناس من هذا التركيب المختلف، فأدينا الذي قالوا، وأمسكنا
عن الشهادة، إذ لم نجد عليها برهاناً"^(١).

الدَّروان : ولد الضبعان من الذئبة^(٢).

"وقد يمكن أن تسمح الضبع للذئب والذئبة للذئخ"^(٣) : أي يتسافدا.

بل يقول : إن بنات آوى، والثعالب، والضباع، والكلاب، كلها كلاب؛
ولذلك تسافد وتلاقح"^(٤). ومع ذلك، يعود، فيقول :

"على أننا لم نتبين إلا الساعة أن الضباع، والكلاب، وبنات آوى، والذئاب،
تتلاقح، وما رأينا على هذا سمعاً، ولا عسباراً، ولا كل ما يعدون وما ذكرهم لذلك إلا
عن طريق الأخبار عن السرعة، أو عن ما يشبه ذلك"^(٥).

ويقدم لنا العلم معلومة تحتاج إلى نظر فهو يذكر جنساً من الضباع يطلق عليه
اسم العسبار Proteles Cristatus، أو Aard wolf^(٦).

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٥ .

(٢) الزبيدي، التاج، "الدروان".

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج ٧، ص ٢٤٣. الذئخ : هو الضبعان، أي ذكر الضبع.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٨٢ .

(٥) المصدر نفسه، ص ١٨٣ .

(٦) عزيز العلي العزبي، الحيوان في تراثنا بين الحقيقة والأسطورة (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة،

١٩٨٧م) ص ٧٤ .

وهو جنس تفرّع عن جنس *Ichthytheres*، المشابه كثيراً للضبّاع. ويوجد هذا النوع الآن في جنوب إفريقية، كما يمتد وجوده من وسط تنزانيا حتى شمال شرق السودان^(١). وهو يشبه ضبباً، عرفاء صغيرة، لكن عرفه طويل الشعر منتصبه، وخطمه وأذناه مدببة أكثر من خطمها وأذنيها. وهو ينش الأرض عادة، ليلتهم حشرة الأرض.

إنه أصغر حجماً من الضبب المرقش *Spotted Hyanae*؛ لونه بني غامق يمتزج بسواد وبياض، وشعره في الرقبة طويل، وأذناه محددتان. مقدمه أضخم من مؤخره. وهناك صفات مشتركة بين العسبار والذئب، منها:

أن العسبار كثير الحركة، لا يهجع ليله ونهاره. ينتقل من غذاء إلى آخر، على عكس الضبب المرقش الذي يستريح، ويأكل كمية كبيرة. وشعره أكثر غزارة من الضبب المرقش. وغالباً ما يكون بمفرده، ثم هو يستروح الهواء، كما يفعل الذئب. وهو أقل عزيمة من الضبب المرقش^(٢).

إذن، فالعرب حينما تحدثوا عن العسبار، أو السمع، أو الدروان، ظنوا أنها نوع من الذئاب، وذلك؛ لأن العسبار (أو السمع، أو الدروان)، ليس ضبباً مرقشاً، أو مخططاً، فهم لم يحددوا نوعه، وإنما قالوا به على التوهم، إنهم لا شك لاحظوا الضببية فيه، والتي اشتبهت عندهم بالذئبية.

يقول الكميت، يصف ذئباً:

يرائي في اللّمام له صديقاً وشادنة العسبار رَعيليب^(٣)

(١) M. G. L. Milles, *The Kalahari Hyanae*, (Cambridge Univ. Press, 1990) P. 9.

(٢) Ibid, p. 9 - 10, 71, 75, 79 268 - 269. ضبب عرفاء: أي ذات شعر كالخرف، أي: ضبب مخطط.

(٣) ابن منظور، اللسان، "رعيل" - يرائي: يعني الذئب. شادنة العسبار: أولادها. رعيليب: ملاطفة، أو

الارتباط الجنسي بالكلاب

إذا كان الاتصال الجنسي بالضباع مستحيلاً، مهما كان نوع الضبع، فإن الارتباط الجنسي بالكلاب ممكن؛ لأنهما من فصيلة واحدة، وهي الفصيلة الكلبيّة. ولهذا سمّيت العرب نتاج هذا الاتصال بأسماء مثل:

الديسم: وهو ولد الذئب من الكلبة^(١).

وفي هذا يقول بشار بن برد في ديسم العنزي:

أَدَيْسَمُ يَأْتِنُ الذُّئْبِ مِنْ نَسْلِ زَارِعٍ

وزارع: اسم الكلب، ويقال للكلاب: أولاد زارع^(٢).

العُسْبُورُ والعسيرة: وهما ولد الكلب من الذئبة^(٣).

الكلاب السلوقية: نسبة إلى سلوق: مدينة باليمن، بها الكلاب الضواري، وذلك؛ لأن الكلاب بها يسفدها الذئب، فتأتي بالكلاب السلوقية. وقد نسبوها إلى الذئب، فقالوا: هي أخبث الذئب^(٤).

الخثيفعي: إذا وقع الذئب على الكلبة، جاءت بالسمع، وإذا وقع الكلب على الذئبة جاءت بالخثيفعي^(٥).

وقدمر بنا أن السمع، أو العسبار، هما نوع من أنواع الضباع.

(١) الميداني، مجمع الأمثال، ج ١، ص ٣٥٢.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ١٨٣.

وفي الديسم، يقول العنزي، الحيوان في تراثنا، ص ٤٦: "سفاذُ الذئب الكلبة حالة نادرة بسبب اختلاف طبيعتهما، وإن كانا من جنس واحد". وهذا كلام غير علمي؛ لأن الإثباتات هي على عكس ما يقول.

(٣) ابن منظور، اللسان، "عسبر".

(٤) أبو عبد الله، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد، (بيروت: دار صادر، ١٩٦٩م) ص ٤٥.

(٥) ابن منظور، اللسان، "خهفغ". وانظر، الزبيدي، التاج، "خوع".

وقال أحمد غسان سبانو:

"الديسم: لعله الذي يؤتى به من أوروبا ويسمونه Chien - Loup" (١).

وفي مقال للمستشرق أ. ف. ل. بيتسون A.F.L. Beeton، أشار فيه إلى أن المستشرقين: يعقوب Jacob ونولدكه، يريان أن السمع من فصيلة الكلب الإفريقي المتوحش Hycaon، كما ذكر هو أن التزاوج بين النوعين: الذئب والضبع، ممكن، وهذه معلومة لا صحة لها، وقد أضاف قائلاً:

إن هذا التزاوج لا ينتج نوعاً جديداً.

وقال كذلك: إن هذا السمع يحمل بعض ملامح ابن آوى وبعض ملامح الضبع. أما ما رآه يعقوب ونولدكه، فغير صحيح؛ لأن الكلب الإفريقي كلب حقيقي مرقش، ذو أذنين طويلتين كبيرتين، يحف بهما الشعر، مما يوحي بأنه حاد السمع. ثم إن هذا الكلب من حيوانات المناطق العشبية في شرق إفريقيا، وهو لا يوجد الآن في الجزيرة العربية، ولم يعش ذات يوم فيها، ذلك أنه يعيش في شكل جماعات. ويلاحظ بيتسون أن هناك حيواناً يعيش الآن في اليمن له الصفات نفسها التي ذكرها العرب.

وقد نقل بيتسون عن عرب شمال وادي حضرموت، على حدود الربع الخالي، أن السمع: قطة.

ويوافق بيتسون على هذا الوصف؛ لأن القطة المتوحشة معروفة بشراستها غير العادية، ولكنه يتحفظ على وصف هذه القطة بحدة السمع.

ثم هو ينقل عن د. ل. هاريسون D.L. Harrison، أن هذه القطة الرملية هي التي تدعى Felis Margatita.

(١) أحمد غسان سبانو، حيوانات وطيور بلاد الشام (دمشق: مطبعة خالد بن الوليد، ط١،

ويضيف بيتسون أن غالبية هذه الحيوانات، ذات آذان كبيرة، ولا يُستثنى من ذلك الثعالب، أو القطط المتوحشة^(١).

ولكن العزي يرى أن السمع، هو الكلب الذئبي الإفريقي، ويقول: "ولا يزال معروفاً باسمه هذا في السودان إلى اليوم"^(٢). بل إن العزي يضيف قائلاً:

"الديسم فيما أرى هو الكلب الوحشي الآسيوي: Cuon Javanicas

وهو كلب أسمر اللون ذو ذيل أسود الطرف، أكبر من ابن آوى، يجتمع لصيد الظلغيات الكبيرة، والأيل صيدها المفضل. ينتشر الديسم في آسيا من سيبيريا شمالاً حتى الهند جنوباً ومنها يمتد انتشاره حتى جزيرة جاوة وسومطرة شرقاً"^(٣).

أما فؤاد حسنين علي، فينقل رأي المستشرق الألماني جورج يعقوب Georg Jacob - عَجَباً - على النحو التالي:

"السمع: حسب تقرير الرحالة وعلماء الحيوان هو حيوان يشبه الكلب وفي حجم الحمار، إذا لم تصب الطلقة الأولى منه مقتلاً، تكوّنت عنده مناعة ضد الرصاص، وهو يهاجم الإنسان ويضربه بمخلبه الأمامي، فيبجر بطنه ويفترسه، ومن

(١) Beeston, A.F.L., The Heart of Shanfara, JSS, N.18 (1973), PP. 257 - 258 .

(٢) العزي، الحيوان في تراثنا، ص ٦٢.

(٣) المرجع نفسه، ص ص ٤٦ - ٤٧ .

الدُّول / الكلب الوحشي Dhole/Genus Cuon/Cuon alpinus/ Cuonalpinus/ Wild Dog ، يقطن مناطق

جنوب شرق آسيا حتى الهند. إنه يعيش في مجموعة تطارد الصيد.

ويختلف عن الكلب العادي في أن له طواحن أقل عدداً. وللإناث عدد كبير من الحلمات، ولونه بني فاتح. ويصطاد نهلاً، ويهاجم الغزلان، والخنائير البرية، وربما هاجم حيوانات أكبر كالذئبة والنمور.

Majupuria Trilok Chandra, Wild is Beautiful (Bankok: Craftsman Press, st. 1981-1982) P. 350.

وانظر: Caras Roger A., Dangerous to Man (Philadelphia: Chiton Co.) 1975 P. 94 - 97

شدة خطره وقوة بأسه لا يستطيع الفرد السير ليلاً إلا في صحبة قافلة، ويطلق عليه علماء الحيوان اسم ليكاون بيكتوس *Lycaon Pictus*، وهو مشهور بقوة السمع حتى يضرب به المثل^(١).

وهذا الوصف هو الذي رفضه بيتسون، على أساس أن هذا النوع لا يعيش منفرداً، بل في جماعات. وهو رأي صائب، أُجريت عليه دراسات معاصرة^(٢).

ولو قبلنا أن السمع ضيع، حسبما ذكرنا آنفاً، فهذا يعني أن السمع اسم مرادف للعسبار، أي: أنه هو العسبار. أما إذا جعلناه قطعة صحراوية متوحشة، فهو يخرج عن جنس الضباع، وجنس الذئب، أو الكلاب، ويدخل في جنس القطط، أي: الأسود والنمور، والفهود... إلخ.

ونكاد نقرب الآن من وصف يكاد يكون علمياً للسمع، أو العسبار، وهو وصف يتفق مع ما جاء في اللسان عن "الخيهفي"، الذي يقول عنها:
 "دابة تخرج بين النمر والضيع، يكون باليمن، أغضف الأذنين، غائر العينين، مشرف الحاجبين، أعصل الأنياب، ضخم البرائن، يفترس الأباغر"^(٣).
 وعلى هذا، فإن رأي العزي في السمع والديسم بعيد الاحتمال.

أما عن الدقة في تحديد المسميات، أي: "سمع"، أو "خيهفي"، أو حتى الأخطاء العلمية، فهي التي بينا وجه صوابها، فمن هذه الأخطاء زعمهم أن الديسم ولد الثعلب من الكلبة^(٤).

(١) فؤاد حسنين علي، لامية العرب، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة (١٩٤٨م) ص ٤٨-٤٩.

(٢) انظر كتاب: Jonathan Scott, Painted Wolves (London: Hamish Hamilton Ltd., 1991).

(٣) ابن منظور، اللسان، "خهفم". أعصل: معوج.

(٤) الزبيدي، التاج، "دسم".

وما يستوقفنا في هذا الوصف هو قوله: "أغضف الأذنين"، وقوله: "يفترس الأباغر"، الأمر الذي يخرجنا عن وصف القطعة البرية المتوحشة، ويدخله في وصف الوشق *The Caracal Lynae*، فلقد جاء في ملاحظات كريستيان كروس عن هذا الحيوان الذي جعله من فصيلة *Felis Silvestris*، وليس من فصيلة *Felis Margarita*، كما فعل هاريسون، أي أن هذا الحيوان هو الوشق، ووصفه كالتالي:

"تتراوح عرض أكتاف الوشق العربي من ٤٠ إلى ٤٥ سم، وهو ليس كالقطعة الصغيرة بأية حال من الأحوال. جسمه قوي ونحيل، وأقدامه طويلة نسبياً، يغطيه فراء أصفر، أو قريب من لون الرمال. جسمه صغير. ووجهه ذو ملامح سوداء، فأذناه سوداوان تعلوهما شعيرات سوداء طويلة"^(١).

ويقول كروس عن سَمع الوشق:

"يتميز الوشق بحدة السمع؛ نظراً لكبير أذنيه، وهو حسّاس لأدنى حس أو همس، لالتقاط الشعيرات البارزة في أذنيه الذبذبات الصوتية الخفية"^(٢).

أما عن صيده، فيقول: "إنه يقتل الصيد الكبير، إذا أتاحت له الفرصة، فهو يصيد النعام، والماعز الجبلي، والوعول..."^(٣).

إذن، فالسمع، أو العسبار، هو: الوشق، الآن. ومع ذلك، فقد جاء في

موسوعة الحيوان عند العرب:

"السمع *Lycaon Pictus*: حيوان من أكلة اللحوم بين الذئب والضبع عليه بقع

سود وبيض وصفّر"^(٤).

(١) Gross, Mammals of The Southern Gulf P.55.

(٢) Ibid.

(٣) Ibid.

(٤) فلاح خليل العائلي، موسوعة الحيوان عند العرب (عمّان: مطبعة البهجة، ط ١، ١٩٩٧م) ص ١٢٩.

بل جاء في كتاب حيوانات وطيور بلاد الشام:

"السمع: حيوان ضار شبيه بالذئب الذي يسمى في أنحاء حلب: الشيب"^(١).
وفيما يتصل بحديثنا عن هذا النوع، ننظر في قول تأبط شراً:

تضحك الضبعُ لقتلى هذيلٍ وتري الذئبَ لها يَسْتَهْلُ^(٢)

فهم فسروا قوله: "تضحك"، بأنه: تكشف عن أنيابها. وهذا معنى مجازي قد
نقبله. أما في واقع الأمر، فالضباع المخططة تصدر أصواتاً، ضحكات، أو بتعبير آخر
The Striped Hyena with its unearthly Laughing cry^(٣)، أي: التعشير^(٤).

وبهذا نفهم قوله: "تضحك"، على أنه يعني أصواتاً كالضحك، وهكذا يمكن
أن نفهم قوله: "يستهل"، على أنه نوع من الأصوات الشبيهة بتلك، مما يُقرب لنا الآن
كثيراً الصورة إلى نوع هذا الذئب: The laughing hyaena

وإذا كان التكشير: الضحك، خاصاً بالضبع، فإن هذا يفسر لنا أن هناك خلطاً
بين الضباع والذئاب، وتحدثوا عن النوعين على أنهما نوع واحد، فتناقلوا الوصف
فيما بينهم حتى أصبح الضبع ذئباً. يقول الفرزدق في نونيته الشهيرة عن الذئب:
فقلت له لما تكشَّر ضاحكاً

(١) سبانو، حيوانات وطيور بلاد الشام، ص ٣٣.

(٢) تأبط شراً، ثابت بن جابر، ديوان تأبط شراً، تحقيق: علي ذو الفقار شاکر (بيروت: مطبعة المتوسط،
ط ١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ص ٢٥. وانظر صورة الوَشَق والقَط الصحرأوي. محمد فكري أنور، عالم
الحيوان في المملكة العربية السعودية، مجلة الفيصل، ٩٨ع، (شعبان ١٤٠٥هـ/مايو ١٩٨٥م) ص ص
١٠٨-١١٠. يوسف خليفة غراب، لغة الطبيعة في الجزيرة العربية، مجلة المنهل، ٥٠٩ع (جمادى
الأولى، ١٤١٤هـ/أكتوبر، ١٩٩٣م) ص ١٥٦.

(٣) Milles, the Kalahari Hyenae, p. 154.

(٤) ابن منظور، اللسان، "عشر".

فالتكشير (المعبر عنه بالضحك) خاص بالضبع، وهاهو عند الفرزدق يوصف به الذئب. ومهما كان الخلاف هنا حول المعنى المجازي، فإن تخصيص التكشير بالضبع، (المعبر عنه بالضحك) يطرح احتمالاً قوياً أن ذئب الفرزدق ذاك، إنما هو الضبع، ولاسيما أن الذئب لا يقترب من النار، بل يتحاشاها وينفر منها، كما سنرى، والفرزدق في نونيته يذكر النار:

دَعَوْتُ بِنَارِي مَوْهِنًا فَأَتَانِي
وكيف يقول:

فَبِتُّ أَسْوَى الزَّادِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَلَى صَسْوَةٍ نَارٍ تَارَةً وَدُخَانَ؟^(١)
إن قول تأبط شراً السابق:

وتسرى الذئب لها يستهل

في "يستهل": من التهلل، والاستهلال في الفرح والصباح.

فالاستهلال على هذا ليس عواء، وإنما هو نوع من الأصوات التي تُعبر أيضاً عن الفرح، أي هو نوع من الضحك. ومن ثم يكون الذئب في قول تأبط شراً، ليس ذئباً، وإنما هو الضبع، ويفسر هذا الفهم أن الذئب قلما تجتمع بالذئاب على الفرائس، وإنما تجتمع بالضباع، إذ تعمد الضباع إلى التكشير بأنيابها، وإثارة شعرها، وتفترز روائح تنبعث بعد الذئاب عن مزاحمتها،^(٢) فكان الإشارة هنا إلى ضبع أنثى، وضبع ذكر، عدّه العرب ذئباً، وأنهما يجتمعان، فولدوا القصص حولهما، من توالد وتزواج.

(١) همام بن غالب الفرزدق، ديوان الفرزدق، شرح: كرم البستاني (بيروت: دار بيروت، دت) ج ٢،

ص ٣٢٩.

(٢) Harrington & Paquet, Wolf of the World, p. 189.

أما من الناحية العلمية، فإن الخلط ممكن بين صغار الذئاب وبنات آوى، إلا أنه يمكن، على قدر، وباجتهاد كبير، تمييز النوعين من بعضهما أحياناً، بلون الشعر، فشعر الذئب غالباً أطلس grey، أما ابن آوى، فشعره بني اللون مع اختلاط باللون الأسود على ظهره، ويغلب اللون الأبيض على أسفل رقبته وقدميه. وبنات آوى تعيش، كما الذئاب، في مجموعة، إلا أنها في حدود المناطق السكنية، وهي تبحث عن أي طعام، كما تأكل الخضروات، وفي بعض المناطق الأوروبية تأكل أنواع البطيخ. وابن آوى يختفي في الصخور والشقوق. ومن المحتمل أن أعداد بنات آوى في الجزيرة العربية قليل^(١). وباستطاعة ابن آوى قتل الغزال. وأغلب مناطق وجوده حوالي الأحساء. وتشبه أصوات ابن آوى نباح الكلاب، وفي إفريقيا تحدّد بنات آوى مناطقها بالتبول، وليس معروفاً طريقة تحديد بنات آوى مناطقها في الجزيرة العربية^(٢).

غير أن المشكلة هنا من التشابه في التعريف، ففي اللسان: "الوَعْوَعُ، والوَعْوَاعُ: ابن آوى"^(٣).

إلا أن ياقوتاً يقول: "وعوع: هو ابن آوى الضخم"^(٤).

فإذن، لدينا نوعان من الوعاوع، أحدهما: صغير الحجم، كالكلب، وهو المشهور بين الناس الآن، بهذا الاسم، وباسم آخر، هو الواوي. والآخر ضخم، وهذا هو الذي يتحدث عنه العلم بشكل عام، بحيث تختلط صورته بصورة الذئب الصغير.

(١) Gross, Mammals of Southern Gulf, p.41

(٢) Jonathan Kingdon, Arabian Mammals (Bahrain: Ministry of Information, 1995) p76.

(٣) ابن منظور، اللسان، "وعع".

(٤) ياقوت، معجم البلدان، "وادي السباع".

وأما العرب، فتحدّثوا عن ابن آوى، "الوعوع" الواوي، المشابه للكلب، وهو ما يعرفه الناس الآن عنه، يقول الجاحظ: إن ابن آوى لا ينزل القفار، وإنما يكون حيث يكون الرئيف"^(١).

كما ذكر الجاحظ أن صياح ابن آوى يشبه صياح الصبيان^(٢).
وجاء في اللسان: "الواوا: صياح ابن آوى"^(٣).

وعلى العموم، فقد جاء في مسالك الأمصار، لابن فضل الله العمري:
"ابن آوى: هو حيوان يفسد الكروم، والثمار، يأكل بعضها، ويفسد بعضها، يقال له بالفارسية: شغال؛ إذا وقع نظر الدجاج عليه، يأتيه، ولو على سطح عال، ويرمي نفسه بين يديه حتى يأكله... ومن العجب أن الدجاج إذا كان على الشجر، ولو مرَّ بها كل كلب وثعلب، وسنور، لا تتحرك ألبته، فإذا مر بها ابن آوى، ألقت بنفسها إليه، حتى لو كان الدجاج مائة، لأثين إليه. وإذا أراد ابن آوى صيد طير الماء، جمع حزمة من الخشيش، ويرميها في الماء، ويتركها حتى يستأنس الطير، ويقع عليها، فإذا استأنس الطير بها، جعل يمشي خلفها، ويصطاد ما يقدر عليه"^(٤).

إن ما يميز "ابن آوى" عن سواه هو "العواء"، أو النباح، كالكلب، وهو في حجم الكلب، مهما تعددت تسمياته، أو اختلف فيه، إذ إن الصورة العلمية غير مستقرة عنه، فهو مثلاً في القبطية:

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ٦، ص ٢٥٩.

(٢) المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨٨.

(٣) ابن منظور، اللسان، "أوا". ولم تقم دراسات حتى الآن حول بعض الأنواع الكلبية، فسي نجد والمنطقة الشرقية من مناطق المملكة العربية السعودية هناك نوع من الكلاب تسمى: الجعري، كبيرة الحجم نسبياً، وتختلف عن الكلاب العادية تتقاتل الذئب. وإن كان (الجعري) له مدلول آخر في جنوب المملكة يطلق على الضبع.

(٤) العمري، مسالك الأبصار وممالك الأمصار، ص ١٣.

أوتش، أي: C.Mosomelas: blacked-backed, Jackal C.Variagatus / Jackal . وهو في لبنان (جقل): وهو عندهم خلاف الواوي، ويعدو على الغنم. وفي مصر هو ابن أوى مصري، ذئب مصري: Eygyption Jackal/ Canis Lupaster وهو "الوعوع": North African Jackal/ Anthus، وهو أيضاً: ابن أوى مجدّد، أو ذئب مجدّد: Side-striped Jackal Canis Lateralis. أما في السودان، فهو: بعشوم. وهو في العراق: الواوي^(١) ويلاحظ الصلة اللفظية بين ابن أوى والواوي.

ولم تقتصر هذه الأنواع على ما مر ذكره، بل إن التويري يضيف: "زعموا أنه يتولد بينه {أي: بين النمر} وبين اللبؤة سبع يسمى: الذراع؛ على قدر الذئب العظيم، كثير الجراءة، لا يأوي معه شيء من السباع والوحوش"^(٢). وقال ناهض بن ثومة:

رؤوسٌ أوصالٌ يزابل بعضها سباع تذلّت من أبانين والبهب^(٣)

ولا شك أن المقصود هنا بـ"السباع": نوع من الذئاب، وقد جاء في قصة قرآن بن يسار بن الحارث بن جحوان بن فقّس:

"خرج قرآن حتى سند في أبان الأبيض، وهو جبل بين بني أسد وقيس، وهو كثير الأروى، وضروب الوحش، والماء، فجعل يتبع الوحش، فيرميها، ويقتلها، ويأكل من لحومها، ويشرب من ذلك الماء؛ فبينما هو كذلك، ذات يوم، إذا هو

(١) أمين المعلوف، معجم الحيوان، (بيروت: دار التراث العربي، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص ٤٧-

٤٨. كما يسمى في الخليج: العوّء، إلى جانب: الواوي. ويلاحظ الصلة اللفظية بين: الوعوع: العوّء.

John. G. Meloughlin, C., The Canine Clan, (New York: The Viking Press, 1983) PP. 74 - 75 .

(٢) شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب (القاهرة: مطابع كوستاتسوماس وشركائه، دت) ج٩، ص ٢٤٤.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني (بيروت: دار الثقافة، ط٤، ١٣٩٨هـ/١٩٧٦م) ج١٣، ص ١٨٧.

يزابل: يفرق. أبانان: جبلان بالقصيم.

(النمر)، قد طلع عليه، فتعرض له كأنه يريد، فانتزع نبله، فأراه إياه، فبسط النمر أظفاره، فأراه إياه، فاستل قران سيفه، فكشّر (النمر) عن أنيابه، ثم أغمد قران سيفه، فخرج (النمر) مولياً، ومضى قران، فأتبعه (النمر)، فلما نظر إليه قران، رجع (النمر)، فمضى قران، فرجع (النمر) في أثره، فالتفت إليه قران، فولى (النمر)، فعرف قران أنه يدعوه، وقران يومئذ جائع، قد أخفق من الصيد قبل ذلك، فأتبعه قران والنمر يمشي قدامه، فوجد أروية قد دقّ (النمر) عنقها، فذبحها قران و(النمر) ينظر حوزة منه، ثم اقتدح قران ناراً، فاشتوى، وقطعها، وجعل يلوح على النار منها، ويرمي به إلى النمر، قدّ بقيتها، فكانا كذلك، إذا اصطاد قران شيئاً، أطعم (النمر)، وإذا قتل (النمر) شيئاً، أرشد إليه قران، وكان لهما رُدْهه يردانها، فإن ورد (النمر)، تأخر قران، حتى يبلغ من الماء، ويتمرغ فيه، ثم يخرج، فيصدر، ويرد قران، وإن ورد قران قبله، تأخر (النمر) عنه حتى يشرب قران ويغتسل، فقال قران في ذلك، وكان لقران أخ بالشأم، يقال له الجون بن يسار، وهو يصف النمر:

خليلاي لا تجري الحراية بيننا شريعتنا لأينا جاء أوّل
توكلت الأروى لنا بطعامنا كلانا له منه شواء مرعبل
ولي صاحب في الغار هدك صاحباً أخي الجون إلا أنه لا يعلل
كلانا عدو لو يرى في عدوه مهزأ وكل في العداوة مجول
إذا ما التقينا كان أعلا كلانا صمات وطرف كالمعابل أطلح^(١)

فهذه صفة الذئب، وليست صفة النمر، فليس في القصيم، حيث "أهان" نمور، وإنما هناك تكثر الذئاب، وهذا "السيم" يقترب من الإنسان ذلك الاقتراب غير المعهود

(١) أبو جعفر، محمد بن حبيب، المحبر (تحقيق: إيلزه ليختن شتير (بيروت: المكتب التجاري، د. ت)

في النمر. ثم إن هذه القصة تتفق مع كثير من القصص من أمثالها، في مصاحبة الذئب، وإطعامه، بل التعايش معه. والنمر يقفز، فيهاجم، ولا يكشر منتظراً، والتكشير للذئب، في مثل هذه الحالة. ومع هذا، فالذي يقترب من الإنسان "أين أوى" أو نوع من أنواعه، ولا يقترب الذئب من النار. ومن الملاحظ أن هناك تداخلاً في الخبر، إذ نجد الموقف نفسه مع القتال، في جبل "عماية"^(١)، بعيداً عن القصيم، وحتى الموقف مع القتال لا يكون إلا مع الذئب لا النمر.

ومفهوم السباع القاصر على الذئب لا يمكن تبيّنه إلا بالقرينة والاستدلال، إلا أن المعنى - بشكل عام - ينطبق على الذئب في كثير من الحالات، فمثلاً حين يقول أحد بني ضبة:

فهلأ بني شر السباع ثأرتم سدوساً وقد أجزت سدوس

ينصرف الذهن - في ضوء هذه الدراسة، وفي ضوء الدراسات السابقة - إلى أن المقصود بـ"السبع" هو الذئب، ولاسيما وقد اقترن هنا بالشر، وهي الحالة التي يوصف بها الذئب في الغالب. فإذا ما احتجنا إلى دليل، وجدنا المعنى: "شر السباع: عنزة؛ وهي دويبة صغيرة"^(٢).

و"دويبة": تصغير دابة، وقد مرّ بنا تعريف اللسان: "العنزة: ضرب من السباع.... وهو جنس من الذئب".

(١) الحموي، معجم البلدان، "عمان".

(٢) أبو محمد، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، المعاني الكبير، (حيدرآباد - الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط ١، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م) ج ١، ص ٥٧٩.

(٣) المصدر نفسه.

الصفات الجسمية للذئب العربي

اللون العام

الأطلس :

يكاد يكون هناك إجماع عام على أن لون الذئب هو اللون الرمادي. ويؤيد الشعر العربي هذا الإجماع تقريباً، فالمرقش، والبيحري، يصفان الذئب بأنه: أطلس؛ والطلسة: هي اللون الأغبر، أو المائل إلى الغبرة؛ وربما اشتدت غبرته حتى يخفى في الغبار^(١)، أو قالوا: أطلس اللون؛ وسخ اللون؛ والطلسة: لون الحرقنة الوسخة^(٢).

الأطحل:

يصف الشنفرى وحميد بن ثور الهلالي والأخطل الذئب بأنه، أطحل^(٣)؛ وهو الذي بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد، أي: إن لونه كلون الطحال؛ فهو أكرر اللون.

الأغبس:

الغبسة: لون بين الطلسة والغبرة^(٤).

(١) أبو العباس، محمد بن يزيد المبرد، الكامل، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: مطبعة نهضة مصر، ١٩٨١م) ج ١، ص ٢١٦.

(٢) أبو محمد، القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، شرح ديوان المفضليات، تحقيق: كارلوس يعقوب لابل (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٢٠م) ص ٤٦٦.

(٣) ثابت بن أوس الشنفرى، شعر الشنفرى، تحقيق: علي ناصر غالب (الرياض: مطابع الفرزدق، ط ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ص ٧٤؛ حميد بن ثور الهلالي، ديوان حميد بن ثور الهلالي، تحقيق: عبدالعزیز الميمني (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ/١٩٥١م) ص ١٠٣؛ شعر الأخطل، ج ١، ص ٣٨٢.

(٤) الزبيدي، التاج، "غبس".

الأدغم :

هو الذي يكون رأسه أشد سواداً من سائر جسمه^(١).

ويبدو أن هذه الألوان متقاربة، ولعلها تكون مترادفة، حتى إن الكُلسة، وهي

من صفاته، كالطلسة^(٢).

ولكن جاء في ألوانه أيضاً:

الأشهب:

يصف كعب بن زهير لون الذئب بأنه كلون دخان الرمث، أي كالغبرة، وهي

سواد بياض، يقول:

كَأَنَّ دُخَانَ الرَّمْثِ خَالَطَ لَوْنَهُ يُغْلُ بِه مِنْ بَاطِنٍ وَيَجَلُّ^(٣)

ولقد سموه: أبا مدقة؛ لأن لونه يشبه لون المدقة؛ وقالوا:

جاؤوا بفتح هل رأيت الذئب قط؟^(٤)

اللون الخاص

أما فيما يتعلق باللون الخاص، وهو لون بعض أجزاء جسم الذئب، فمنه:

لون الرقبة:

هناك معلومة جديدة أضافها عمرو بن معد يكرب حين شبه البياض الذي في

(١) أبو العلاء المعري، الفصول والغايات، تحقيق: محمد حسن زياتي (القاهرة: الهيئة الصغرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م) ص ٤١٢.

(٢) الزبيدي، التاج، "كلس".

(٣) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص ٤٩. يغل: يُدخَل. يجلل: يُعلَى ويُظَهَر على منته. شبهه بدخان الرمث؛ لأنه أبيض تعلوه غبرة، فتكون إلى الزرقة.

(٤) ابن منظور، اللسان، "مدق". المدقة: اللبن الممزوج بالماء. الفيح: اللبن المخلووط.

نحر الذئب تحت غبشة سائر لونه بثوب تحت الدرع، إشارة إلى أن الذئب العربي يتميز بشيء من البياض في جزء من صدره، يقول:

بِه السُّرْحَانُ مَفْتَرِشاً يَدِيهِ كَأَنَّ بِيَاضَ لَبَّيْهِ صَدِيْعٌ^(١)

الخاصرة :

ذكر الراعي النميري صفة البياض في خاصرة الذئب، حيث جعل بها وضحاً،

فقال :

مُتَوَضِّحُ الْأَقْرَابِ فِيهِ شَهْبَةٌ^(٢)

الذراعان:

وقد أوضح الفرزدق أن ذلك اللون الأبيض يمتد حتى يخالط ذراعي الذئب،

فيتغير لونهما عن سائر جسده، ولذلك وصفهما بالوشى، يقول:

مَوْشِيٌّ الدَّرَاعِيْنَ^(٣)

الكاهل:

يصف ابن مقبل كاهل الذئب بأنه أحمر مما عليه من الدم، وهذا لا يعني أن

كاهله "زبرته" أحمر، وإنما هي كناية عن الفتك الشديد، فليس في أوصاف الذئب

(١) عمرو بن معد يكرب، ديوان عمرو بن معد يكرب، تحقيق: مطاع الطرايشي (دمشق: مطبعة مجمع

اللغة العربية، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) ص ١٣٣.

اللبية: موضع القلادة من العنق. افترش: رضى على ذراعيه ومنهما.

(٢) الراعي النميري، شعر الراعي النميري، تحقيق: نوري حمودي القيسي وهلال ناجي (بغداد: المجمع

العلمي العراقي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ص ص ٦٣-٦٤.

متوضح: الوضع: البياض.

(٣) هبة الله بن علي بن حمزة بن الشجري، الحماسة الشجرية، تحقيق: عبدالمعين الملوحي وأسماء

الحمصي (دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٧٠م) ج ٢، ص ٧٢٠.

العربي أن كاهله أحمر. وإن كان هناك الذئب الأحمر في نيوزيلندة مثلاً.
يقول ابن مقبل:

كأَمَّا بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَزُبُرَتِهِ مِنْ صَبِغِهِ فِي دِمَاءِ الْقَوْمِ مَنَدِيلٌ^(١)
العيون:

يتفق التراث العربي مع التراث العالمي في وصف عين الذئب بأنها: كحلاء.
وهكذا أشار الراجز إليها بقوله:

كحلاء العيين^(٢)

الأذنان:

أذنا الذئب كأذني الكلب، مسترخيتين في حالة الهدوء، ولكن أذني الذئب
تنتصبان إلى أعلى في حالة التحفز. وقد بين هذا أحد الرجاز، فقال في صفة ذئبه:

مألولة الأذنين^(٣)

فإذا نظرنا بعد ذلك في بقية أجزاء الذئب، فسنجد أن هناك اتفاقاً عاماً على
التخصيص دون التعميم، وذلك على النحو التالي:

الفك والأنياب:

وصف ابن مقبل شدقي الذئب بأنهما مهتران، أي واسعان، فقال:

حَتَّى احْتَوَى بِكَرْهٍهَا بِأَلْجَوِّ مُطْرِدٌ سَمِعَمٌ أَهْرَتِ الشَّدَقِينَ زُهْلُولُ

(١) تميم بن أبي بن مقبل، ديوان ابن مقبل، تحقيق: عزة حسن (دمشق: مديرية إحياء التراث، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م) ص ٣٨٦. زيرته: أعلى كضيه، أي شعره، من صبغه: أي بالأكل أو الكرع في الدماء.

(٢) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج ١، ص ١٩٧.

(٣) المصدر السابق. مألولة: الأذن المؤللة، المحددة، المنصوبة، الملطفة.

كما وصفه الراجز بأنه منهرت أيضاً، ووصف النابين بأنهما حديدان:
مُنْهَرَتِ الشُّدْقِ حَديدِ النَّابَيْنِ^(١)

وقال راجز آخر، مشبهاً أنيابه بأنها كالشفرة، وأن النار تقدح منهما:
قسي قَمِيهِ شَفْرَتُهُ ونارهِ^(٢)

ويشير ابن عتقاء الفزاري إلى اعوجاج ناب الذئب وشدة خطورته، فكان السم فيه مثل ناب الحية، فيقول:

يَأْعَصَلُ فِي أَنْيَابِهِ السَّمُّ نَاعِقٌ^(٣)

ويستخدم البحري الصفة نفسها حين يصف أنيابه بأنها عصل، أي معوجة، وأن الصوت كامن فيها، فيقول:

يُفَضِّضُ عَصَلًا فِي أَسْرَتِهَا الرَّدَى كَفَضِّضَةِ الْمَقْرورِ أَرَعَدَهُ الْهَرْدَى

وقد قالوا: "إن جوف الذئب يذيب العظم، وكذلك جوف الكلب، ولا يذيان نوى التمر، وهو أضعف من العظم"^(٤).

ذلك أن:

"رَدُّهُ لِسَانَهُ أَشَدَّ مَرًّا فِي اللَّحْمِ وَالْعَصَبِ مِنْ لِسَانِ الْبَقْرِ فِي الْخَلَى. فَأَمَّا عَصَّتُهُ وَمَصَّتُهُ، فَلَيْسَ يَقَعُ عَلَى شَيْءٍ عَظْمًا كَانَ أَوْ غَيْرِهِ إِلَّا كَانَ لَهُ بِالْغَا بِلَا مَعَانَاةٍ مِنْ شِدَّةِ

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩٧. الزهلول: الخفيف.

(٢) أبو العلاء المعري، رسالة الصاهل والشاحج، تحقيق: عائشة عبدالرحمن (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥م) ص ٦٤٣.

(٣) الأصبهاني، الدرر الفاخرة، ج ١، ص ١١٨.

(٤) علي بن الحسين، الشريف المرتضى، الأمالي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ٢٠١٣هـ/١٩٦٧م) ج ٢، ص ٢١٣. الأعصل: اناب الجعوج.

فكيه... ومن قلة ثبات العظم له، لا يكون له صوت" (١).

الْحَطْمُ (أنف الذئب):

وُصِفَ حَظْمُ الذَّئْبِ بِأَنَّهُ رَأْسٌ مَدْبِيٌّ، وَأَنَّ مَنْخَرَهُ أَسْوَدٌ، وَهُوَ مَرْتُومُ الْحَظْمِ،
والرثمة: بياض في طرف الأنف (٢).

قال الراجز:

ومنخره ما خلقتا مسودتين لكل ربح تفخت معدتين (٣)

ويؤكد الطرماح صفة السواد في أعلى رأس أنف الذئب، أي: منخره، كما هو في جميع الذئاب العربية وغير العربية، فيشبهه بظهر الحنظل، لشدة سواده، فيقول:

عملس غارات كأن مسافه قري حنظل أخلى له الجومقمح (٤)

وقد لاحظوا أن الذئب إذا جاع، سال أنفه، يقول كعب بن زهير:

أويس إذا ما أنفه رذما (٥)

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ٦، ص ٤٣٦ - ٤٣٧. الخلى: الرطب في النبات.

(٢) أبو عمرو، عثمان بن بحر الجاحظ، البرصان والعرجان، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٣م) ص ٣٠٨.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ابن حكيم، ديوان الطرماح، ص ١٠١. ابن قتيبة، المعاني الكبيرة، ج ١، ص ١٩٧.

العملس: الذئب الخفيف الجري الخبيث.

مسافه: خرطومه الذي يسوف فيه، أي: يشم.

القرأ: الظهر. الحنظل: الجعبل.

المقمح: الذي يرفع رأسه، ويفض بصره.

(٥) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص ٢٢٤. رذم: سال.

وتجمع الدراسات كذلك على أن للذئب حُطماً، خرطوماً ممدوداً مدنياً^(١)، يقول ابن مقبل، إن له خرطوماً فيه طول:

وَفِي الْخُرْطُومِ تَسْهِيلٌ^(٢)

الدليل:

يختلف ذيل الذئب عن ذيل الكلب في أنه غير ملتو أو منحني. وهذا ما وصفه به البحري حين شبهه بجبل السقاء لطوله، فقال:

لَهُ ذَنْبٌ مِثْلُ الرِّشَاءِ يُجْرُهُ^(٣)

وهم عندما قالوا:

ذَنْبٌ أَعْقَدُ^(٤).

لا يعنون - بالتأكيد - أن في ذنبه التواء كالعقدة فيه، كما في الشاة، وإنما لاحظوا أن هذه الحركة حركة من ذئب في حالة مواجهة، فهو لا يفعل ذلك إلا في مثل هذه الحالة، وإلا فذنبه دوماً ممدود. وهكذا عندما ترفع الذئاب أذنانها، فيطلق عليها "العواسر"، لأنها تفعل ذلك من نشاطها.

ويقال للذئب: الشَيْدَمَانُ / الشَّيْمَذَانُ^(٥). لشموذه بذيبه، أي: رفعه.

أما قولهم: "ذئب السُّرْحَانِ"^(٦)، للفجر لاختلاط البياض بالسواد فيه،

(١) انظر، خالد بكر كمال، الحياة الفطرية في المملكة العربية السعودية (المدينة المنورة، دار الزمان، ط٢، ١٤١٨هـ / ١٩٩٦م) ص ٩٠.

(٢) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص ٣٨٦.

(٣) أبو عيادة، الوليد بن عبيد البحري، ديوان البحري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي (القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٩٧٣م) الرشاء: الحيل.

(٤) ابن منظور، اللسان، "عقد".

(٥) التويري، نهاية الأرب، ج ٩، ص ٢٧٠.

ومشابهته لذئب السرحان، فهو قول غير دقيق؛ لأن ذئب الذئب ليس كذلك، وإنما هو مزيج الأبيض والأسود، أي: أطلس، أو أشهب، أو أغبر، أو نحو هذا؛ وينطبق القول السابق على الغبش، الذي لا يتبين فيه البياض أو السواد.

الضلوع^(٢):

ركّز الشعر العربي على تلك القوة في أضلاع الذئب؛ كما قال الأعرابي مشبهاً ضلوعه بالضال، ولكن في عرض ليس في طول، كما في ذلك المعتقد:

يَنْصُلُّنَّ مُنْخَصِرَاتٍ^(٣)

الساقان:

وُصف الذئب في الشعر العربي بأنه: "عاري الأشاجع"، أي: أن عروق ساقيه بارزة، ونسبوا ذلك إلى شدة هزاله، وذكروا أن الحصان العربي أيضاً يشترك كثيراً في هذه الصفة؛ وهذا ليس دليل هزال فيه، وإنما قوة وصلابة. ولذلك، فالمرجح أن هذه الصفة التي فهمها الشراح في الذئب على أنها علامة ضعف، هي في الواقع علامة قوة. وقد جمع كعب بن زهير بين طبيعتين للذئب، هما: الإلحاح في الكسب المستمر، وعدم الاحتفاظ بالأكل، أي: الجوع، وأضاف إليهما تلك الصفة: "عاري الأشاجع"، لوصف بروز عروق يديه، فقال:

أخشى عليها كسواً غير مدّخر عاري الأشاجع لا يشوي إذا ضغماً^(٤)

(١) ابن منظور، اللسان، "ذئب".

(٢) انظر عن مقاسات أعضاء الذئب العربي: D.L. Harinson, The Mammals of Arabia (London: Ernest

Benn. Ltd., 1968) N.2. p. 202-203, 205.

(٣) الحموي، معجم البلدان، "دابة واسط".

(٤) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص ٢٢٤. غير مدّخر: يريد أن قوته مقدار ما يأكل، ثم يدع الباقي. الأشاجع:

العروق المتصلة بالأعصاب بالأصابع وأصلها. لا يشوي: لا يظن، بل يصيب المقتل الضغم: الغضب.

ويوضح كعب في قصيدة ثانية الصفة اللازمة الأخرى للذئب أي: بروز عرق ساقه كالوتر، في الحالتين، شتاءً إذا ما توافر لديه الغذاء، وصيفاً إذا شح الغذاء عليه، فيقول:

تراه سميناً ما شتا وكأنه حمي إذا ما صاف أو هو أهزل
كأن نساءه شريعة^(١)

والملاحظة التي أبداها الراعي على الذئب أنه عندما يعدو، فيقارب خطوه، يبدو كأن يديه قيدتا بقيد: "تخاله مشكولاً"^(٢). وقد علل الطرماح ما يظهر من انحناء في يديه على أنه يعود إلى إقعائه أي: جلوسه مفترشاً رجليه، وناصباً يديه، وهو يشير إلى طريقة مشيه:

من الزل هزلج كأن برجله شيكالا من الإقعاء وهو ملوغ^(٣)

وفي بيت ابن مقبل تشبيه دقيق لمشية الذئب بالقناة يقول:

كالرُمح أرقل في الكفين وأطردت منه القناة وفيها لهزم غول^(٤)

كما أشار الشاعر (المجهول) الذي لقي الذئب في الطريق، فحمله معه، إلى قوة أظافره، لتمسكه بنسع ناقته، فقال:

وقد علقت في النسعتين أظافره^(٥)

(١) المصدر نفسه، ص ٤٩-٥٠. حمي: مُحْتَم.

(٢) النميمي، شعر الراعي النميمي، ص ٦٤. مشكول: مقيد.

(٣) ابن حكيم، ديوان الطرماح، ص ١٨٩. الزل: جمع أزل، وهو الخفيف. الهزلج: السريع الخفيف. الشكال: الحبل الذي تشد به فوائم الذابة. الملوغ: الخفيف السريع.

(٤) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص ٣٨٦.

أرقل: اضطرب. اللهزم: السنان الحاد. أطراد القناة: تتابع كعوبها حتى تحرك من لينها واستقامتها. غول: الذي يفتال كل ما ظفر به.

(٥) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج ١، ص ٢٠٦. النسعتان: مشى نسعة، وهي سير مضمور يجعل زماماً للبعير.